

من صليح

تقديم

أنا خير بنز

غفر الله له ولوالديه

١٤٣٦ من الهجرة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم
تقدّم لكم مدوّنة (**عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ**) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة
أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله
ونسأل الله أن ينفع بها.

<https://anaheedblogger.blogspot.com>

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.
- هذه التفاريغ من عمل الطالبات ولم تطلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله - عزّ وجلّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله.
- والله الموفق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء السابع عشر

بَابُ إِثْمٍ مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ أَوْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمداً كثيراً طيباً مباركاً ونسأله بمنّهِ وكرمه أن يجعلنا من أهل الإيمان والتقوى وهو -سبحانه وتعالى- أهل التقوى وأهل المغفرة، ومن اتقاه -سبحانه وتعالى- وقاه، فنسأل الله أن يكون إيماننا سبباً لتوقّينا من عذاب النار.

نعلم أن الله العظيم يوم لقائه يسأل الإنسان سؤالاً عظيماً: **يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ**⁽¹⁾ ؟ وربنا آثار كرمه في كل مكان وفي كل شيء، والعبد مغرورٌ بآثار كرم الله، فيبقى على الرجاء ويترك التقرب وطلب رضاه؛ وهذا سببه الرئيس: ضعف الإيمان، والأمة كلها ترى آثار ضعف الإيمان في كل شيء، فإن الإيمان بالغيب أصل هذا الدين، قال تعالى: **(الْم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ**

⁽¹⁾ () الانفتار: 6.

لَا رَيْبَ فِيهِ ۖ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ⁽²⁾ أول صفة للمتقين: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)⁽³⁾ فهذه الآية على قدر تكرارها واشتراكنا جميعًا في حفظها، يبقى علينا أن نعلم كم نعيش الإيمان بالغيب؟ ودائمًا لا بد أن نسأل أنفسنا سؤالًا: "كم في قلوبنا من معرفة بالله أدت إلى أن نعبد كأننا نراه؟!" لأن المؤمن أول صفة فيه: أنه يعرف حقائق الإيمان. يعني يعرف مَنْ هو ربه -سبحانه وتعالى- معرفة تفصيلية، ويعرف مَنْ هو نبيّه معرفة تفصيلية، ثم يعيش تحت أثر هذه المعرفة، معنى ذلك أن قلب المؤمن مليءً باليقين بمعرفة الله ومعرفة رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-، وبمعرفة دين الإسلام، وهذا اليقين من المؤكد أنه سيؤدّ له كيف يتعامل مع الحياة، فلما ننظر لحالنا ولحال الأمة على وجه العموم أنها تشترك في ضعف الإيمان واليقين؛ والسبب الله أخبرنا به في سورة كثير ما نقرأها ونردها، قال تعالى: (الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (2) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (4) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ)⁽⁴⁾ أين

⁽²⁾ البقرة: 1-2.

⁽³⁾ البقرة: 3.

⁽⁴⁾ التكاثر: 1-5.

هو علم اليقين اليوم؟ اليوم لا بد أن يكون علم اليقين؛ ولذلك من صلى اليوم مع الإمام سمعه يقرأ السجدة، وسمع كيف أن الله يمتنّ علينا في كتابه أنه (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ⁵ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ)⁽⁵⁾ ولما خلق الإنسان من طين وهبه ثلاثة أمور: (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ⁶ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ)⁽⁶⁾ انظر ما موقف الكافرين في نفس السياق، عندما يأتي يوم القيامة يقولون لربنا: (أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ)⁽⁷⁾ لكن في توقيت غير مناسب.

فإذا الأصل في هذا الدين، أن يكون أهله مؤمنين موقنين، فحينما يعيشون في الحياة، يعاملون رب العالمين معاملة من يتيقن بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ وهذا نتیجته الأخيرة أنه عندما تقول: "أشهد ألا إله إلا الله" ما تكون كاذبًا؛ لأنك شهدت حقًا أنه لا إله إلا هو، ليست شهادة زور؛ لأن من يشهد زورًا يكون حاله أنه لم يسمع ولم يبصر ولم يقع الإيمان في قلبه، ولذلك أهل الباطل يقولون يوم القيامة: (أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا

⁽⁵⁾ السجدة: 7.

⁽⁶⁾ السجدة: 9.

⁽⁷⁾ السجدة: 12.

مُوقِنُونَ⁽⁸⁾ وفي سورة غافر يقولون: (رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَتْنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ)⁽⁹⁾ لا يوجد إلى خروج من سبيل! (ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ)⁽¹⁰⁾.

معنى ذلك أن الاختبار الكبير الذي يعيشه الناس في الدنيا أن يعرفوا الله ثم يعاملوه معاملة من شهد أسمائه وصفاته وأفعاله في كل شيء، فهنا ترى آثار رزقه وهنا ترى آثار جبره، وهنا ترى آثار ستره وهنا ترى آثار رحمته وهنا ترى آثار أفعاله، حتى أنك عندما تستيقظ في الثلث الأخير من الليل خاصة، تفرع لأنك تشعر أن الله في هذا الزمن ينزل إلى السماء الدنيا، تتيقن وتتعامل مع الله باليقين، وعندما تتعاز من الليل وتقلب، بمجرد أن تفتح عينك تذكره فتقول: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"، تذكره إشارة إلى أن قلبك قد امتلأ باليقين أنه في ظلمة الليل مهما كان أهلك قريبون منك، فلا أقرب منه سبحانه وتعالى.

⁽⁸⁾ السجدة: 12.

⁽⁹⁾ غافر: 11.

⁽¹⁰⁾ غافر: 12.

فهذا اليقين هو السبب لبقائنا على الصراط المستقيم ونحن نسير في الحياة، الإيمان واليقين، وكلما ضعف الإيمان واليقين بسبب الاختلاط بالحياة، كلما كان سلوك الإنسان لا يدل على أنه متيقنُ برب العالمين، الخطأ والغفلة موجودان عند كل الخلق، لكن المؤمنين صفتهم: أنهم إن ذكروا تذكروا، قد يقع الخطأ وزلة القدم، لكن بمجرد أن تُذكر بالمفاهيم التي ثبتت في قلبك، مباشرة تتذكر وتتفاعل معها، لكن عندما يكون القلب فارغاً من اليقين، مهما وُعِظ لا يملك شيئاً يتذكره، مهما قيل لصاحب هذا القلب: "الجنة والنار ولقاء الله والحساب والملائكة تكتب عليك، وسارع في التوبة من أجل أن تُمحي عنك السيئات!" كل هذا كلام لا يقع في مكانه! والسبب: لا رصيد له داخل القلب من اليقين.

إذاً دورنا الحقيقي في الحياة: أن نستعد للقاء الله، وأول لقاء الله: أن تأتي الملائكة، قال تعالى: **(قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ)**⁽¹¹⁾ فسيكون أول لقاء لنا نهاية الاختبار: أن نلقى ملك الموت، تلك اللحظة يظهر فيها ما في القلب من يقين، وذكر الموت ليس شيئاً مخيفاً، بل كما تذكر ولدك يومياً

⁽¹¹⁾ (السجدة: 11).

وتقول له: "في آخر السنة يوجد اختبار." وحين يقول لك: "لا تذكرني!" تقول له: "عليك أن تواجه الحقيقة، لا بد من التذكّر لتستعد."، كذلك نذكر أنفسنا أن في نهاية حياتنا يوجد اختبار، وهذه المرحلة الأولى، وبعدها يدخل الإنسان القبر فيُسأل: "من ربك؟ من نبيك؟ ما دينك؟" فبقدر يقينك بربك سيكون الثبات، بقدر ما تعلم دينك ونبيك سيكون الثبات، وهذه المعرفة ليست معرفة التسميع والتعليم واختبارات الدنيا! هذه المعرفة معرفة اليقين؛ ولذا المسلمون المؤمنون المتقون حالهم أنهم **معتصمون بالكتاب والسنة**؛ لأنهم يعلمون أنهم إن لم يعتصموا لن ينجو، فمعرفة الله لن تكون إلا بكتاب الله، ومعرفة دين الله لن تكون إلا بكتاب الله، ومعرفة نبي الله لن تكون إلا بكتاب الله، وهكذا معرفة الله ودين الله ونبي الله، لن تكون إلا بسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فمن أراد النجاة فليُنظر للكتاب والسنة ويعتصم بهما، ثم على قدر اعتصامه ينقل لأبنائه هذا الاعتصام، مثلما نعظم في نظرهم -وهذا غالباً في الوضع العام- الشهادات والنتائج والوظيفة التي في نهايتها قد لا يعيش ليصل إليها! ونهايتها أنه سيأخذ في الدنيا

ما قد قُسم له، كما نعظم هذه الأشياء حتى أنه في النهاية لا يعيش إلا ليدرس أو يعمل، كان المفترض بدلاً من أن توجه كل هذه المشاعر تجاه الدنيا، أن توجه تجاه لقاء الله ومعرفته، ومن سيكون قوياً في اعتصامه فسيخرج هذا الكلام لأبنائه ولا بد، والضعيف لا يظن أن مثل هذا الكلام سيخرج من قلبه، إنما يخرج من لسانه وما يخرج من لسانه لا يصل إلا لأذان من يسمعه فقط ولا يصل إلى وجدانه! ولذا نحن نجتمع لنشكر الله على وجود السنة وعلى وجودنا في دولة السنة، بالاجتماع على دراسة هذا الكتاب الذي هو جزء من صحيح البخاري.

كتابنا الذي نتدارسه **كتاب الاعتصام**، والاعتصام أمر مهم اليوم خاصة ونحن نرى الناس على طرفي نقيض في كونهم تفلّتوا من الدين، فإما تجد أناساً يكفرون الناس بالمعصية فيقتلون المسلمين! أو تجد أناساً يقولون: "بما أننا لم نشرك فلن يعذبنا رب العالمين!" وهؤلاء على طرفي نقيض، وهم خارج دائرة الاعتصام بالكتاب والسنة، وشأنهم إلى الله، وكأن الطرفين ينسون عن الله معلومة.

- فمن كَفَر المسلمين بمجرد المعصية، نسي أن الله غفور رحيم وأن باب التوبة مفتوح.

- ومن يرى أنه مادام لم يشرك فهو تحت رحمة الله، فالحقيقة أن في الأصل الإنسان تحت رحمة الله في كل الأحوال، لكن المستهين يأتي بصفات المنافقين، فإن الله -عز وجل- في صورة الحديد لما وصفهم وهم يقولون للمؤمنين (يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ)⁽¹²⁾.

يعني أنتم أنتمم بالفتنة لأنفسكم، ومن يأتي بالفتنة لنفسه، يقول لنفسه: "ادخل في هذا الأمر ولن يفتنك، ربك غفور رحيم!" فهذا نسي أن هناك منافقين وذاك نسي أن هناك توبة وأن الله غفور رحيم، وكلاهما وقع في هذا الأمر بسبب أنه لم يعتصم بالكتاب والسنة.

وكنا نعيد على أنفسنا دائماً أن من يدّعي الإيمان -يقول: "أنا مؤمن!"- معناه أنه لا بد أن يقول: "أنا مصدّق بشيء"، يقول: "أنا مصدّق بالله رباً كامل الصفات، مصدّق بأنه يستحق أن يكون

⁽¹²⁾ (الحديد: 14).

إلهي، مصدقٌ بأن هذا الدين كامل، مصدقٌ بأن طريق الفلاح من هنا، مصدقٌ بأن اتباع النبي سبب النجاة، مصدقٌ بأن هذا الدين إذا تمسكت به؛ صلحت لي الدنيا والآخرة." هذا الذي يقوله من يقول: "أنا مؤمن."، ثم إن هذا الكلام يبقى مجرد دعوى يشترك فيها المؤمن والمنافق؛ ولذا يوم القيامة عندما يأتي الموقف العظيم ويأتي اليهود والنصارى للنار، يُحبس فقط أهل الإسلام، سواء كانوا من المؤمنين حقيقة أو من المنافقين، كلهم يُحبسون في مكان واحد، ثم عندما يأتي رب العالمين لهم ويأمرهم بالسجود -مع أنهم كلهم صورتهم أهل إسلام- يسجد فقط من يعرف الله، والمنافقون يصبح ظهريهم غير قابل للسجود! مع اشتراكهم في الصورة في أصل المسألة، إذا المنافقون قضيتهم في الادعاء، وعندما نسمع عن سلفنا مثل ابن أبي مليكة، وهو أحد التابعين الكبار، نسمعه يقول: "أدركت ثلاثين من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- كلهم يخافون النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل"

معناه أن مسلك من كانوا قبلنا أنهم كانوا يخافون من النفاق، ومن يخاف من النفاق يهرب إلى الإيمان، والإيمان يأتي من الاعتصام بالكتاب والسنة، إذا نحن ندور ونعود لنفس النقطة، لا بد أن تبحث عن الإيمان وتفتش في قلبك عن الإيمان، كم تعلم عن الله؟ وكم أنت متيقن بما تعلمه عن الله؟ ومن أين أتيت بما تعلمه عن الله؟ كم قرأت في القرآن عن الله وفهمت ما تقرأه عن الله؟ كم قرأت عن الملائكة، وعن الكتب، وعن الرسل، وفهمت ما تقرأه؟ إذا المؤمنون حقاً هم الذين يثبتون إيمانهم في قلوبهم من اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكل مرة يقولون لأنفسهم: "نحن مصدقون" يقولون: "صدّقنا بأن ربنا هو الذي خلقنا، صدّقنا بكذا وكذا مما سمعنا في كتاب الله ورأينا من آثار أفعاله سبحانه وتعالى" وهكذا في الملائكة والكتب والرسل.

إذا حتى لا يكون الإيمان دعوى، ماذا يجب علينا؟ نتعلم عن الله، ونتعلم عن دين الله من كتاب الله وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-. إذا تعلمنا لا نريد أن يكون العلم مجرد معرفة؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلّم- يقول: «لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمَ لَضَحِكْتُمْ

قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا.»⁽¹³⁾ ، معنى ذلك أنكم وضعتم الأشياء في مواضعها وليس معناه أنكم أصبحتم أهل نكد، بل تعلمون كيف تقدّرون الأمور، وتعلمون بماذا تفرحون وما الذي لا يستحق أن تفرحوا به؛ ولذا في سورة يونس قال تعالى: **(قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)**⁽¹⁴⁾ فإذا كنا نعلم -وليس **نعرف**، المعرفة كل الناس مشتركون فيها- ما يعلمه النبي -صلى الله عليه وسلم- لضحكنا قليلاً ولَبَكينا كثيراً، يعني قدّرنا الأمور ووضعناها في مواضعها.

إذا كل ما مضى نختصره في الآتي:

ما هو المطلوب منّا؟ أن نكون مؤمنين صادقين، ولسنا أهل دعوى.

وكيف يأتي إيمان هؤلاء المؤمنين الصادقين؟ من الاعتصام بالكتاب والسنة.

والمعتصمون ماذا يفعلون؟ يتعلمون حتى يصل العلم في قلوبهم إلى اليقين. فكل من لديه قدرة أعطاه الله إياها على العلم، لا بد أن

⁽¹³⁾ أخرجه البخاري (6485).

⁽¹⁴⁾ يونس: 58.

يصرفها في تعلم هذا الدين العظيم، وقد مرّ معنا أن أول ما نتعلمه في هذا الدين: أن نعلم مَنْ هو رب العالمين، هذا أول أمر على الإطلاق، أن نعلم مَنْ هو الله، ولذا عندما نأتي لسورة مثل سورة الحشر ونسمع عن ربنا أنه (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ)⁽¹⁵⁾ فنحن -الحمد لله- نشترك في حفظها، لكن بقي علينا أن نشترك في فهمها واليقين بها ومعاملة الله بها، لا يصح أن أسأل: "ما معنى اسم الله السلام؟" فلا أعرف! مع أنني بعد كل صلاة أقول: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمَنْكَ السَّلَامُ»⁽¹⁶⁾ ولا أملك جملة أعبر بها ولا أعيش المعنى، إذا كنت لا تعيش المعنى ولا تعلمه، كيف تقول إنك صدّقت بذلك؟ لا بد ليكون تصديقك يقينياً لا بد أن تعرف، الناس فيهم ضعف وفيهم قوة من الإيمان، ضعيفو الإيمان هم مَنْ لديهم العلم بمجمل الأشياء، إجمالاً يعرفون أن ربنا عظيم، وهؤلاء إذا حافظوا على هذا الإيمان المجمل وابتعدوا عن الذنوب والمعاصي، فالله يبارك في هذا الإيمان ويقبل منهم، لكن لا تقل

⁽¹⁵⁾ الحشر: 23.

⁽¹⁶⁾ أخرجه أبو داود (1513).

عن نفسك إنك مؤمن وإنك من أهل الإيمان، وأنت تجد نفسك ضعيفاً في معرفة الله! هذه دعوى، **الخطوة الأولى** من أجل تحصيل قوة الإيمان: **معرفة الله**، تأتي **الخطوة الثانية: معرفة دين الإسلام والاستقامة عليه**، وهذا كله دائر حول الاعتصام بالكتاب والسنة، يعني المعتصمون خائفون على أنفسهم، يشعرون كأنهم في بحر لَجِّي فيتمسكون لينجو، ويتمسكون تعني: يتعلمون علماً صحيحاً.

نبدأ اليوم بمفهوم من أهم المفاهيم وهو في **الباب الخامس عشر**.
بَابُ إِثْمٍ مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ أَوْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:
(وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ) الآية

• حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله، قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا - وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: مِنْ دَمِهَا-؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ أَوَّلًا"

← نبدأ بالعنوان.

قال: (بَابُ إِثْمٍ مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ أَوْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ)) في الجزء الأول من نقاشاته قبل هذا الباب كان يقول مجملًا: "من أراد أن يعتصم بالكتاب والسنة فليتعلم الدين -الكتاب والسنة-، وإذا تعلمهما واعتصم بهما لا يتعداهما، يعني لا يصل إلى البدعة، فتتعلم السنة وتقف عندها ولا تتعد إلى البدعة، وعندما تظهر البدعة في الأمة معناه أنه في نهاية الأمر سيصبح الدين غير الدين؛ بسبب أن كل شخص يبتدع في الدين ما لم يأت، هذا المبتدع لا يمكن أن يكون معتصمًا؛ لأن المعتصم بالكتاب والسنة والممتثل لقوله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)، هذا مقتنع تمامًا بأن الدين كامل؛ ولذا لا تجده إلا وهو يسمع ما في الدين، ويملا قلبه علمًا ويقينًا ويفعل ما أمره به رب العالمين، هذه طريقته في الحياة، أما غير المعتصم فيدخل في البدعة؛ ولذا قال: (بَابُ إِثْمٍ مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ) يعني سيخبرنا في الباب كيف سيكون إثم من دعا إلى ضلالة.

هذا الحديث أخرجه مسلم، فيه شقان:

الشق الأول: «مَنْ دعا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا.»

الشق الثاني: «وَمَنْ دعا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا.»⁽¹⁷⁾

إذا ما معنى الحديث؟ أن الناس أحد اثنين:

- إما شخص يدعو إلى هدى.

من أين أتى به؟ الهدى الذي أتى به وعلمه للناس إنما هو من كلام الله وكلام رسول الله، فليس لشخص أن يقول: "إن هناك بدعة حسنة!" لأن الهدى الذي يُدعى إليه إنما قد هدانا إليه رب العالمين وهدانا إليه الرسول الكريم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ومعنى هذا أن دعاءنا إلى الهدى إنما يكون بإرشاد الجاهل وتعليمه، وبتنبيه الغافل، وبتذكير الناسي، يعني الهدى نحن لا نُنشئه، وليس لنا أن نقول بعقولنا: "في هذا الزمان ما يصلح للناس من الهدى كذا وكذا!" الدعوة إلى الهدى أن تعرف الهدى من الكتاب والسنة سواء استطاع عقل الإدراك أن يستوعبه أو لا؛ لأن عقل الرشد أصلاً يتكوّن من الكتاب والسنة، أما عقل الإدراك فيشارك فيه

⁽¹⁷⁾ () أخرجه مسلم (2674).

الناس كلهم وحتى البهائم، وأنتم ترون البهائم إذا هجم عدو عليها هربت، وإن جاعت بحثت عن طعام، وإن عطشت بحثت عن ماء. إذا لديها عقل يسمى عقل الإدراك، والإنسان عقل إدراكه بنفس الطريقة، إن جاع بحث عن طعام، وإن عطش بحث عن ماء، وإن أتاه العدو هرب منه، وهذا عقل الإدراك الذي يشترك فيه كل الناس، لكن عقل الرشء الذي يجعل الإنسان يرى حقائق الأمور، يعلم الحكمة من خلق الدنيا، يعلم سبب وجود أغنياء وفقراء. عقل الرشء لا يتكوّن في قلب الإنسان إلا عندما يتعلم من الكتاب والسنة.

إذا الهدى ليس اختراعًا، إنما الهدى الذي تتعلمه من الكتاب والسنة بوضوح وليس على ما يوافق هواك، ثم تدعو إليه الناس، تعلمهم إن كانوا جاهلين، تذكرهم إن كانوا ناسين، تنبّههم إن كانوا غافلين، قال تعالى: (الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)⁽¹⁸⁾ فهو بنفسه هدى وأنت ستدعو الناس إليه، مثلًا في موقفنا نجد ديار المسلمين كلها انتشر فيها الاهتمام بالقرآن، وهو بين أيدينا وأجهزتنا والناس يسمعون ويقرؤونه ويهتمون بإتقانه،

⁽¹⁸⁾ (البقرة: 2-1).

وهذا كله جميل، لكننا وصلنا إلى أنهم فقط يقفون عند حروفه ويجيدونها؛ ولا يفهمون المعاني، مثلاً، تجلس في مجلس وتقول: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ)⁽¹⁹⁾ ثم تسأل: ما معنى هذه الآية، وكيف ضرب الله بها مثلاً للإيمان في قلوب المؤمنين؟ وكيف ذكر الفطرة؟ ولماذا ذكر هنا هؤلاء الناس خاصة عن دون الناس، وكيف مثل نور الله في قلوبهم؟ فتجدهم يحفظون السورة حفظاً متقناً لكنهم لا يعلمون الأمثال التي ضربها الله! لا يعرفون أسماءه وصفاته، لا يعرفون ما قرب الله بالقصص التي حكاها في القرآن، ماذا قرب لنا من معاني؟!

فكانك تقول: "حفظت القرآن؛ فأنت على خير كثير، بقي لك خطوة." الهدى أن تخطو خطوة أخرى بأن تتعلم هذه المعاني على سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

إذا (مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى) معناها أن الهدى ليس شيئاً يخترعه الإنسان، إنما الهدى كلام الله وكلام رسوله، والداعي إليهما يقول:

⁽¹⁹⁾ النور: 35.

"تعال اعتصم بكتاب الله سواء كنت ناسياً أو جاهلاً أو غافلاً!"
وبالعكس سيكون الشخص الثاني:

- شخص يدعو إلى ضلالة.

ماذا ستكون الضلالة؟ أي شيء غير هدى الكتاب والسنة يُعتبر ضلالة، في أيّ شأن يُعتبر ضلالة؟ أيّ خبر أو فكرة تأتي وتقول لك: "من أجل أن تكون أحسن الناس، من أجل أن تطور نفسك، من أجل أن تصلح مجتمعك أو اقتصادك؛ افعل كذا وكذا!" وتكون أخباراً من غير الكتاب والسنة، ستكون ضلالة؛ لأن إعمار النفس هذا حكرٌ على الكتاب والسنة، قال تعالى: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (20) هذه نفسك التي بين جنبيك أقسم الله في سورة الشمس إحدى عشر قسمًا على أنه خلق كل هذه الأشياء التي حولك، الشمس والقمر والليل والنهار من أجل: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) (21) فإذا أردت أن تتكلم عن صلاح نفسك وعن صلاح المجتمع فليس لك إلا كتاب الله يوصلك إلى

(20) الملك: 14.

(21) الشمس: 9-10.

تزكية النفس، أنت في غنى عن أيّ شيء غير كتاب الله وسنة رسوله.

وسنعود ونقول: "إن السبب في ضعف معرفة هذا: أننا لم نتعلم الكتاب والسنة كما ينبغي"، وإلا ففيهما غنوة عن أي شيء، فإذا ماذا ستكون الضلالة؟ أيّ دعوة للصالح أو الإصلاح من مكان غير الكتاب والسنة، وكل ما تسمعون من "إننا نملك طاقات كامنة، وإنك تستطيع أن تفجر ما في داخلك!" كل هذا من الضلالة مهما لووا أعناق النصوص؛ لأن الحقيقة هي أن الهدى في كتاب الله وأننا إن اعتمدنا على أفكار الشرق والغرب في إصلاح النفس فقد أسأنا إلى أنفسنا وقناعاتنا، وبقينا إن كل شيء موجود في كتاب الله. وقد ورد في صحيح البخاري: «ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن»⁽²²⁾ ويتغنّى أي: يستغني به عن غيره، ولا تظنوا ما يظنه الناس في الجملة المكررة: "إن الحكمة ضالة المؤمن"، نقول: "صحيح، لكن الحكمة لم تضلّ عنا!" لم نضيّعها ولم تضيّعنا، ومن يفتح كتاب الله سيجد كل ما يحتاجه فلم تضلّ عنا، وإن كانت

⁽²²⁾ أخرجه البخاري (7527).

ضلت فهذا لأننا لم نبحث عنها في كتاب الله لكنها في الحقيقة لم
تضل عن المؤمنين.

إذا هذا الهدى وهذا الضلال، فمن يدعو إلى الهدى يقول:
"تعالوا هذا كتاب الله، هذه سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-،
تعالوا نرشد أنفسنا إلى الدين" فسيكون له له أجر كل من سار
ورائه، وهذا لا ينقص من أجورهم شيئاً، بل يزيد هذا الداعي،
والذي يدعو إلى ضلالة عليه وزر كل من تبعه ولا ينقص من
أوزارهم شيئاً، هذا حديث خطير جداً، خصوصاً اليوم ونحن
نمسك أجهزتنا وأصبحنا كلنا دعاة، إما إلى ضلالة وإما إلى هدى،
فنجد أنفسنا ننشر ما لا نعلم هل هو من دين الله أو ليس من دين
الله! وأحياناً كثيرة نقول: "هذا لا علاقة له بالدين!" ونحن لا نعلم
هل له علاقة بالدين أو لا، وكل هذا التمييز بأنه: "هل كان من
الدين أو لا؟" يحتاج إلى علم، فعلى ذلك كل شخص يحمل مصيبة
في يده! لأنه إن دعا إلى ضلالة فعليه وزرها ووزر من عمل بها،
ومن ذلك ما انتشر في مقطع صوتي لشخص يقول: "ليس من
الصحيح أن تقولوا في دعاء الاستفتاح: «وتعالى جَدُّكَ»⁽²³⁾ ؛ لأن

⁽²³⁾ أخرجه الدارقطني (1145).

الله ليس له جدّ!" والناس نشروا المقطع، وهناك من استغفر لقوله ذلك! وهذه ضلالة وهذا الكلام لا يدل إلا على الجهل؛ لأن هذه الكلمة تأتي بمعنيين عند العرب: إحداهما بمعنى: **عظمتك**، ومن ثمّ نقول في سورة الجن: **(وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا)** (24)، فمن أين لك أن تنشر هذا المقطع قبل أن تعلم هل هو حق أو باطل؟! وقيسوا على ذلك ما تريدون، كيف أنهم يطعنون في السنة فننشر! يطعنون في الصحابة فننشر! فالأفضل أن تحتاط لنفسك ولا تدخل في هذا الباب إلى أن تتيقن من أن ما تنقله حق ثم انقله لمن يصح أن تنقله إليه، مثلاً من الأخطاء فيما يُنشر هو أن تنشر شيئاً فيه دليل على عظمة الله وجلاله وأنه يعاقب من وقع في ذنب -وهو دليل صحيح- لكن يصل لأحدٍ تلبّسه الشيطان، وصاحب وسوسة، ولديه يأس من الحياة، فترسل له المقطع، أو بالعكس، تنشر عن رحمة الله وتذكر حديث عثمان -رضي الله عنه- الذي فيه قال الرسول: **«مَنْ تَوَضَّأَ مِثْلَ وُضُوئِي هَذَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»** ولا تكمل الحديث، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال آخره: **«ولا**

(24) الجن: 3.

تَغْتَرُّوا» (25)، وينتشر هذا الحديث بين الناس، حينئذ سيقترحون الذنوب ويقولون: "نذنب ونتوضأ!" فحتى الحقائق لا يصلح نشرها لكل الناس، وأحياناً يقول الحقيقة ويترك كلمة واحدة فتقلب الحقيقة على رأسها! فهذا كله يفهمنا أننا نملك في أيدينا سبباً لهلاكنا أكثر مما نملك في أيدينا سبباً لنجاتنا، والسبب أنك إذا امتلكت علماً ستعلم كيف تستخدمه جيداً، ولن تعتبره الوسيلة الوحيدة، وقد تستغنى عنه وتعلم الناس بطرق أخرى، لكن المشكلة عندما نستقبل فقط ونرسل دون تبيين، وتكون هناك كثير من المنكرات يُخطط لنشرها عن طريق المستقيمين! فأنت تحب الدين وهم يريدون نشر هذا المنكر، فيقولون: "احذر من كذا وكذا" فهو يكون عبارة عن نشر لمنكر، وأنت تنشره على أنه تحذير! فلا بد أن ننتبه لكيلا نكون دعاة للضلالة.

إذا **الهدى** هو الكتاب والسنة وما فيهما، و**الضلالة** هي أي شيء غيرهما وجه لصلاح النفس وصلاح المجتمع. هل يمكن أن نعتبر أن من الضلالة كل شيء متطور مثل الطائرات أو السيارات؟ هذا

(25) أخرجه ابن ماجه (285).

يُسَمَّى إِمَارًا للأرض، وهو حق لكل مجتهد، وهذا ليس موضوعنا.

موضوعنا هو إصلاح النفس والمجتمع، وهذا حكر على دين الله، أما الدنيا فكما ورد في الحديث في كتاب الرقاق في صحيح البخاري: «تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَكْفُوهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ، كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ»⁽²⁶⁾ يعني الدنيا لن تساوي شيئاً، فهي ليست موضوعنا في الإعمار، وأنت تسمع في القرآن أن مَنْ قَبَلْنَا عَمَلَهَا أَكْثَرُ مِمَّا عَمَرْنَاهَا نَحْنُ، فليس مقصدنا التعمير في الأرض، مقصدنا ما يُعَمِّرُ النفس ويُعَمِّرُ المجتمع، فهذا الذي فيه هدى وضلالة.

إِذَا قَالَ: (بَابُ إِثْمٍ مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ أَوْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً) هذه أيضاً جملة من حديث للنبي -صلى الله عليه وسلم-، وحديث النبي فيه جزأين:

الجزء الأول: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَعَمِلَ بِهَا، كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَمِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجورِهِمْ شَيْئاً».

⁽²⁶⁾ أخرجه البخاري (6520).

«مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً» أي يعيد للمسلمين أمراً قد سنّه النبي الكريم وموجود في كتاب الله العظيم، وليس سنة حسنة أنت ت اخترعها، فهذا معناه أنك لا تشعر باكتفائك بالدين، الدين كامل لكن السنة الحسنة هي ما تجد القوم قد غفلوا عنها مع طول الأيام والليالي، مثل الاهتمام بفهم كلام الله، أو الغفلة عن سنة العقيقة أو قول ذكر معين، مثلاً الناس عندما يطوفون ويستقبلون المسعى يقولون: (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا) (27) ثم إذا وقفوا على الصفا مستقبلين القبلة السنة أن يرفعوا أيديهم ويدعوا ويقولوا: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ» (28).

الناس مع طول الزمن وتوزيع الكتب نسوا قراءة الآية في هذا الموطن العظيم الذي هو من مواطن إجابة الدعاء، من أعظم مواطن إجابة الدعاء في العمرة أنك عندما تقف على الصفا والمروة، تستقبل القبلة وترفع يديك وتدعو، الآن ما السنة الحسنة؟ أنك كلما رأيت المعتمرين تقول لهم: "هذا موطن من مواطن

(27) البقرة: 158.

(28) أخرجه أبو داود (4547).

إجابة الدعاء، في كل مرة تقف على الصفا تستقبل القبلة وتدعو، ومثله في المروة إلى أن تعد سبعة مرات. " هذا يعتبر أصلاً في دين الله وأنت دعوت إلى سنة رسول الله، وسننت سنة ليعود الناس لسنة رسول الله، مثلاً رأيت الناس بعيدين تماماً عن الاهتمام بفهم كلام الله، فسننت سنة أن يجتمعوا كل جمعة أو خميس في بيت ليفهموا كلام الله، بهذا سننت سنة موجودة في دين الله. إذا «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً» ليس معناها أن يخترع، بل يتأكد من أنها في دين الله؛ وليست بدعة، والبدعة تكون بطريقتين:

- إما باختراع عمل ليس في دين الله.
- أو يكون العمل في دين الله لكنهم يزيدون وينقصون فيه، إما في العدد أو الزمن أو الكيفية أو الصفة.

فالمفترض أن نعمل عملنا مجرداً على سنة النبي، وهذا لن يكون إلا بالعلم، وليس كل ما تنكره ولا تعلمه يكون بدعة، ولا تقل: "أنا أشعر أنه بدعة!" لسنا بعالمين بكل شيء! يكون بدعة عندما أعلم من دين الله أنها لم ترد في الكتاب والسنة؛ ولذلك لا بد من سؤال المتخصصين وأهل العلم، ومثل هذا حين يقول أحد عن حديث إنه

لم يسمعه سابقًا! من أنت لتقول ذلك؟! حينئذ لا بد أن تراجع أهل العلم وتتعلم دواوين أهل الإسلام، وأي شخص لديه قوة أو لدى ذريته قوة يجب أن يرشدهم للعلم النافع.

الجزء الثاني: «ومن سنّ سنةً سيئةً فعَمَلٌ بها، كان عليه وزرُها وَوَزِرُ مَنْ عَمَلَ بها من بعده لا ينقصُ من أوزارِهِمْ شيئاً»⁽²⁹⁾. سيكون عليه وزرها ووزر من عمل بها، وهذا كله إن لم يُتُب، لكن إن تاب فقد تاب الله عليه.

قال: (لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ) (الْآيَةُ) هذه الآية من سورة النحل فيها قوله تعالى: (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِلَّا سَاءَ مَا يَزِرُونَ)⁽³⁰⁾ يعني يوم القيامة كيف يكون الموقف عندما يدعو العبد إلى ضلالة؟ يقف وكل أوزاره في ميزان سيئاته، ثم يأتي بمن دعاهم وتصبح أوزارهم كلها -التي كانت بسببه أيضًا- في ميزان سيئاته، وكل هذا لا ينقص من إثم من وقع في الإثم؛ لأن

⁽²⁹⁾ أخرجه ابن ماجه (203).

⁽³⁰⁾ النحل: 25.

كل أحدٍ عليه مسؤولية فردية، وهذا كله إن لم يتب، فإن تاب العبد
محا الله عنه ذنوبه.

ثم أتى هنا بحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (لَيْسَ
مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا -وَرُبَّمَا
قَالَ سُفْيَانُ: مِنْ دَمِهَا-؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ أَوَّلًا) . كأنه يُقال:
انظر إلى هذه الحادثة وستفهم ماذا سيكون الموقف. هذه الحادثة
مشهورة كما ذكرت في سورة المائدة، وهي حادثة قتل ابن آدم
لأخيه، والقصة مشهورة، فيها أن الله أمرهم بعبادات وطاعات
وكان من بين طريقتهم وسنة الله معهم أنهم يقربون قربانًا، فإذا
تُقبل القربان أكلته نار من السماء، فأكلت النار قربان الأخ ولم
تأكل قربان الثاني، كان الواجب على الذي لم تأكل النار قربانه أن
يعود على نفسه بالندم والاستغفار والمراجعة والتوبة، ويعلم أن
الخطأ من عنده؛ فيستقيم شأنه عندما يعرف أن قربانه لم يُقبل،
لكن بدلًا من أن يكون هذا سبب لاستقامته كان هذا سبب لاعتدائه،
فوقع منه في هذا الموقف الحسد، الحسد الذي دعاه للقتل، ما
علاقة الحسد هنا؟ كونه يرى أن قربان أخيه قُبِلَ فهذا يعني أن أخاه

أفضل منه؛ إذاً هو أسوأ! وبما أن أخاه أفضل منه فتكون النتيجة في نظره أن يتخلص منه! وهذه الصورة نفس صورة إخوة يوسف عندما رأوا أن أخاهم أحب إلى أبيهم، وكان الحل أن يتخلصوا منه! وهذه الحالة التي تمر ببني آدم لا زالت حالة موجودة لليوم، ليس شرطاً القتل، لكن كل مرة نرى أننا أنقص من غيرنا ننكب على غيرنا بالتنقيص، نرى أننا لم نفعل ما يفعله، فإما أن نقول إنه ناقص في قرارة نفوسنا، أو نتجراً ونتكلم بصوت عالٍ، فمثلاً إن تصدّق شخص ولم نتصدّق نحن؛ فتجدنا نقول: "يتصدّق رياءً ليظهر نفسه!" فهذه الحالة لا زالت موجودة في بني آدم باختلاف أحوالهم، ومن يزكّي نفسه عندما يكتشف أنه بهذا الوصف مباشرة يعود إلى نفسه فيطهرها، بحيث يجعل الإنسان اكتشاف العيب سبباً للصالح، لكن مباشرة عندما رأى ابن آدم أن أخاه أفضل منه رأى أن التخلص منه وسيلة لتهدئة نفسه، ماذا سيستفيد من قتله؟ نفسه ستغلي عندما يجد شخصاً أفضل منه، وهذا بالضبط الحسد، وهو: حرقه تأتي في القلب عندما يكتشف الإنسان أن شخصاً أفضل منه. مثل اللسعة التي تأتي في القلب، غليان وغصّة، كيف

تهدا الغصة التي تأتي في القلب؟ من يُزكّي نفسه سيقول: "هذه منازل عند الله، وأنا أطلب من الله أن يرفع منزلتي بأن يفتح لي باباً أو يرزقني ما يكفيني" لكن من لا يُزكّي نفسه حتى يُسكت الغصة يتمنى أن تزول عن غيره أو يذمّ غيره بالصفة التي مُدح غيره بها. فنحن مع أنفسنا لا نسمح لأحد أن يمدح شخصاً آخر ونحن في مجلس، فتجده يقول في نفسه مثلاً: "لو كانوا يعلمون عنه جيداً لما مدحوه!" كل هذا من الحسد، والحسد يولّد الاعتداء، من يُزكّي نفسه يمنعها من الاعتداء، وكلما منعت نفسك من الاعتداء كلما أعانك الله.

الشاهد أن كل من قُتل بعد ابن آدم، كان على ابن آدم كفل من قتل، يعني كلما قُتل أحد اليوم كان على ابن آدم الأول الإثم! فتخيل من أول الذرية إلى قيام الساعة! كل قُتلٍ سواء لمؤمن أو كافر أو فاسق، أي قُتل سيكون في ميزان سيئات ابن آدم. مثلها أي بدعة أو ضلالة يدعو إليها الإنسان صغيرة كانت أو كبيرة؛ فسيبقى إثم كل من عمل بها إلى قيام الساعة على من ابتدعها. مثل هذه الأمور لا تموت مع الإنسان، بما أنه دعا غيره وفعل هو وغيره؛

فسيكون الأمر متسلسلاً ويبقى في ميزانه ولا يموت هذا الذنب حتى يترك الناس القيام به.

فالمسألة ليست يسيرة أبدًا، والمشكلة أننا نتصور أن تبقى المخالفات على حجمها، يعني عندما نفعل شيئاً نراه صغيراً وبسيطاً! والحقيقة أنك تضع نقطة والآخر يضع نقطة إلى أن يصبح هناك دين غير الدين، معنى ذلك أن عدم مراعاة الزمان وتحول أحوال الناس يجعل الإنسان الجاهل لا يعلم ماذا يعني أن ينحرف عن دين الله ولو بخطوة، الخطوة الواحدة التي تنحرف بها عن دين الله تصبح غداً مائة خطوة، وتصبح كأنها هي الدين، ويُترك الدين!

فالمعنى أنه لا بد أن نراعي الزمان واختلاف الناس، اليوم هذا الأمر واضح أنه ليس من السنة، وغداً يجعله الناس من السنة، مثال: أخرج الترمذي في سننه حديثاً عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً غَيْرَ وَاحِدَةٍ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»⁽³¹⁾ ثم أورد الترمذي عدداً للأسماء، لكن هذا العد علق عليه أنه ليس من كلام النبي ويسمى في علم الحديث "إدراجاً"،

⁽³¹⁾ () أخرجه الترمذي (3506).

أتى جماعة من المتأخرين وفتحوا الترمذي وهم لا يفهمون معنى كلمة إدراج، ومعناها: أنه ليس من كلام النبي -صلى الله عليه وسلم- إنما أحد الرواة اجتهد فجمعها، فالحديث الصحيح الذي ورد عن النبي: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**» ورد في البخاري ومسلم وفي الترمذي وأبو داود، أما إحصاؤها المشهور الموجود في البطاقات، فهذا ليس من كلام النبي -صلى الله عليه وسلم-، فطُبعت المصاحف في المطابع اللبنانية، وكان يوجد في نهاية المصاحف الأسماء الحُسنى! وأخذوها من هذا الحديث، ولم يُذكر فيها اسم **الرب**، وهو من أعظم أسماء الله، وفيها اسم **المنتقم** وهو ليس اسمًا لله، بل هو صفة مُقَيَّدة، فأصبحت هذه البطاقة اليوم عبارة عن دين، وكأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قالها! وتطور الناس وأصبحوا يقتنونها في مصاحفهم واعتقدوا أنها تحميهم وكبرت المسألة، وفي الحقيقة إنما هي عدّ عدّه بعض الرواة وفيه من الخطأ ما فيه، فالمفترض أن نراجع أهل العلم في هذا ونعلم العد الصحيح.

الشاهد: أن تعلّموا كيف يحصل الخطأ؟ اليوم في الطواف أصبحنا نجد من يخرج هذه الأسماء وينادي بها الله، وهذا ليس صحيحًا! تصور -ولله المثل الأعلى- أن ينادوا اسمك فقط بدون طلب ماذا يريدون؟ فمن يسأل رب العالمين يجب أن يسأله باسم من أسمائه ثم يطلب حاجته، لكنه يبقى طوال الطواف يذكر الأسماء فقط على أنها دين! في البداية كانت خدمة أن يعدّ الأسماء وانتهت إلى أن أصبحت دينًا غير دين الله، وأصبحوا يتبركون بها ويضعونها تحت رأس المولود، وكبرت إلى أن أصبحت بدعة! وهكذا كل بدعة تبدأ صغيرة وقريبة من السنة، وتنتهي لتصبح دينًا آخر، وهنا الخطر، لا تفكر بعقل اليوم، بعد مائة سنة تصبح المسألة مختلفة والناس يفكرون بطريقة مختلفة، والجهال في الأمة وفي كل أمة أكثر من العلماء، فمن المؤكد عندما ينتشر بين الناس أمر غير صحيح يأتي الخطر.

ولذلك لا بد أن نعتصم، ونتمسك بالكتاب والسنة، وندفع أي شيء آخر، نسأل الله أن يحفظنا وأمة المسلمين ويمسكنا بالكتاب والسنة؛ لأنه لا نجاة إلا بهما، وقد قال النبي -صلى الله عليه

وسلّم:- «فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ
فَتَمَسَّكُوا بِهِ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا»⁽³²⁾.
سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك
وأَتُوبُ إِلَيْكَ.

³²() أخرجه ابن حبان (122).